سينما | ملفّ

الجوائز السينمائية
إفادة أم مجرّد «بيزنس»؟

[2/2]

مع بدء التوزيع السنوي للجوائز السينمائية الأبرز في العالم، كـ«غولدن غلوب» الأميركية و«أوسكار» الهوليوودية و«سيزار» الفرنسية، تُثير قلّة سؤالَ المغزى من هذه الجوائز، ومدى أهميتها وقيمها المختلفة، وما إذا كانت لا تزال قادرة على دعم الفائز ـ الفائزة أم لا، وكيف، فضلاً عن جوائز المهرجانات المصنّفة فئة أولى وفئات أخرى أيضاً. عشية توزيع جوائز النسخة الـ96 لـ«أوسكار» (10 مارس/آذار 2024 بتوقيت غرب الولايات المتحدّة الأميركية)، يناقش زملاء وزميلات هذه التساؤلات، وغيرها مما يُعتبر أساسيّاً في المسألة الأصل.

شرٌّ لا بدّ منه

في مقابل فائدة تمنحها الجوائز السينمائية إلى أسماء وأفلام، هناك تساؤل عن آليات الاختيار للترشيح، وعن مدى الصدق في انتقاء الفائز ـ الفائزة

سعيد المزواري

عند إعلان لائحة المتوّجين بمسابقات مهرجان، أو عن ليلةٍ تحتفي بموسم سينمائي، في بلد ما، يُثار عادةً جدلٌ حول الأحقية بالتتويج، تختلف حدّته بين حالة وأخرى. يتلو ذلك سؤال المغزى أو الفائدة من هذه الجوائز: هل لا تزال تلعب دورها في تحفيز المبدعين على الخلق وتجاوز أنفسهم، أم أضحت مجرّد مناسبة للبهرجة واللغط، ولاستعراض الأزياء، وتبادل الاحتفاء (امنحني الجائزة اليوم، أردّ لك الجميل غداً)؟ ألم تعد اعتبارات من خارج السينما تتحكّم في قرار منح هذه الجوائز، كنفوذ الجهات المنتجة، ومدى الانخراط في طرح النسوية، أو الأقليات الجنسية، أو التوجّهات السياسية المهيمنة؟

قطعة معدنية؟

ينبغي القول، بداية، إنّ الجوائز تمثّل، نوعاً ما، شرّاً لا بُدّ منه، لأنّ الجانب المهني والصناعي من السينما (مهنيّو المهنة، بتعبير جان لوك غودار) لم يجد بعد وسيلةً لجذب اهتمام التغطية الإعلامية إلى الأفلام أفضل من إقامة نظام منافسة، يحشد ترقّب المتابعين أشهراً قبل إعلان مختلف درجات الترشّح، ويُذكّي التشويق حول الفائز النهائي، ثم يستثمر الوقع والجدل اللذين يخلّفهما إعلان الفائزين، بين المسرورين والمستائين، لجذب المشاهدين إلى متابعة الأفلام المتوّجة، والخاسرة. نظامٌ استُمِدّ من الرياضة ليُطبّق على السينما، مُنتِجاً ردود فعل من سينمائيين كبار، رفضوا إسقاط منطق التراتبية على فنّ يفترض تفرّد الأعمال، ما يجعل من أيّ مقارنة بينها، بُغية تفضيل أحدها على الآخر، شيئاً لا معنى له. الممثل جورج سي. سكوت، الذي رفض ترشيحه مرّتين لجائزة «أوسكار»، وصف هذه الأخيرة بـ«معرض للّحوم يمتدّ لساعتين، وعرض عمومي يستخدم تشويقاً مفتعلاً لدواع اقتصادية». أما غودار، فأجاب، بسخريته المعهودة، صحفياً سأله عمّا يعنيه له إعلان حصوله، عام 2010، على تمثال «أوسكار» شرفيّ، تكريماً لمساره: «لا شيء. إذا كانت الأكاديمية تحبّ منح التماثيل، فدعها تفعل. لكنّي أجد ذلك غريباً. أتساءل: أي من أفلامي شاهدوا؟ هل يعرفون جيّداً عملي؟»، قبل أن تُعلّل رفيقته آن ماري ميلفيل إحجامه عن الردّ على المحاولات اليائسة للأكاديمية للاتصال به، ورفضه السفر إلى لوس أنجليس، بالقول: «لو كنتَ مكانه، هل ستقطع كلّ هذه المسافة من أجل قطعة معدنية؟». إذا كانت الجوائز الأبرز في السينما، كـ«أوسكار» و«غولدن غلوب» الأميركيتين و«سيزار» الفرنسية و«بافتا» البريطانية، تستحوذ على اهتمام الإعلام، فإنّ العشرات غيرها تُمنح، كلّ عام، في بلدان مختلفة في العالم. كلّ منها يخضع لقانون خاص، يسعى إلى الاستجابة إلى خصوصية دولة أو تكتل جغرافي معيّن. يعرف المتابعون، إلى حدّ ما، جوائز أخرى، كـ«غويا» الإسبانية و«ماغريت» البلجيكية، وجوائز الفيلم الأوروبي؛ لكنّ قليلين يعلمون بوجود جوائز «الحصان الذهبي» التايوانية، أو يعرفون آخِر فائز بـ«غراندي أوتيلو»، الجائزة الكبرى للسينما البرازيلية، وجوائز «الأكاديمية الأفريقية للأفلام»، الممنوحة بـ«بيناغوا» النيجيرية في مايو/أيار من كلّ عام. تحتلّ «الأوسكارات» صدارة الجوائز بالتغطية الإعلامية الهائلة، المخصّصة لها (وصل عدد متابعي حفل عام 2008 إلى 18 مليون متفرّج)، بصدىً يتجاوز الولايات المتحدة الأميركية ليعانق شرط الكونية، لأنّ مئات الصحف والمواقع العالمية تتداول أخبارها ونتائجها، وتغذّي خطب تسلّم تماثيلها، أو الأحداث المثيرة التي ترافقها (كالصفعة الشهيرة التي تلقّاها كريس روك من ويل سميث، عام 2022)، سيلاً من المقالات والنقاشات على وسائل التواصل الاجتماعي، بمتدّ أسابيع. علاوة على أنّ الليلة نفسها تُنتِج كمّاً هائلاً من التفاعل والتعليقات حول فساتين الممثّلات، والعلاقات الغرامية بين النجوم، والمواقف الأيديولوجية، والحرازات السياسية، يجعل المتابع يتساءل عن مكانة السينما الحقّة في «كفرناحوم» الأضواء والأزياء ومواد التجميل، والإعلانات المباشرة وغير المباشرة، والبسط الحمراء، والتماثيل البرّاقة.

شانتال اكرمان: السخرية من فيلمٍ لها فضيحةً تُهين السينما (Getty)

> جوائز قليلة تنال اهتماماً، لكنّ الأكثرية غير معروفة

تأثيرٌ يصعب تجاوزه

رغم كلّ ذلك، يظلّ لـ«أوسكار» تأثيرٌ بليغٌ على حياة الفيلم الفائز، إذْ يفتح الفوز أمامه أبواب المُشاهدة العريضة في كلّ أنحاء العالم، ويؤثّر على صيت المخرج الذي يجد فرصاً أكبر لتمويل أفلامه الموالية، وعلى الممثل الذي يحصل على أجر أكبر. لكنّ عَكْسَها لحقيقة السينما يظلّ محدوداً، لأنّها تجنح كثيراً إلى تتويج نجومية الممثلين المشاركين في الفيلم، أو ثيمة مُثيرة للانتباه والجدل (السياسة، الأقليات الجنسية، إلخ)، أو قصة من الفئة المذرّة للعواطف، بدل مكافأة التجديد وأصالة الكتابة وإبداعية الإخراج، ومدى تجذّره في تربة السينما. حقيقة السينما ونتائج «أوسكار» يلتقيان، بين الفينة والأخرى، كما حدث عام 2020، عندما فاز «طفيلي» لبونغ جون. هُو بـ«أوسكار» أفضل فيلم، في سابقة لفيلم غير ناطق بالإنكليزية، ما فتح باب الأمل في أنْ يغدو التمثال الذهبي أكثر انفتاحاً على السينما الكونية.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

قُبلة حياة لأفلامٍ لا تُباع

محمد بنعزيز

يعرض المخرجون أفلامهم أمام لجان أرستوقراطية سينمائية، منتقاة من بين زبدة المهنيّين، للحصول على الاعتراف بالتفوّق والعبقرية. كلّ فيلمٍ مُتوّج يُحقّق مكاسب كثيرة، منها:

أولاً: تحظى الأفلام التي تحصل على الجوائز بتغطية إعلامية كثيفة، خصوصاً عندما يُحرِّر منتجوها بلاغات، تستنسخها الصحافة الفنية، التي لا تُشغِّل نقاداً سينمائيين.

ثانياً: تجعل الجوائزُ الأفلامَ مشهورة، حتى لو لم تُشَاهَد. يردّد كثيرون أنّ الفيلم رائعٌ، وتحفة، خصوصاً عندما يكون مخرجه مشهوراً، ولا يُذكر أي سطر عن أحداث الفيلم، أو فضاءاته، وأمزجة شخصياته، وبنيته الحكائية. تعيش الأفلام الفائزة بجوائز «أوسكار» بالجملة، عمراً طويلاً.

ثالثاً: تبني الجوائز شرعيةَ المبدعين السينمائيين، قد تؤدّي دوراً كبيراً في ضمان مستقبلهم المهنيّ.

رابعاً: قد يجلب صدى الجوائز تمويلاً مستقبلياً للمخرج أو السيناريست أو الممثل في الفيلم المتوّج.

خامساً: عملياً، تمنح الجوائز مصداقيةً فنية وتداولية للحاصلين عليها. لذا، صار عرض فيلم أفريقي أو عربي في مهرجانات أوروبية معياراً للنجاح، حتّى لو لم يُثمِر ذلك ربحاً مالياً. المهم صورة المخرج مع الجائزة. لهذا مغزى كبير، يُخفِّف كلّ المعاناة التي رافقت كتابة الفيلم، والبحث عن ميزانيته، ومحنة تصويره.

سادساً: يُعتَبر حضور حفلة جوائز، والسير على بساطٍ أحمر، مُنجزاً كبيراً للسينمائيين، عشّاق الأناقة والـ«سيلفي». يصير هذا أمتع، عندما تنتهي الحفلة بعشاء خمسة نجوم. لا يعكس هذا مُنجزاً سينمائياً، لكنّه يدغدغ النرجسية البشرية عامة. هذا يجعل التلفزيون يشتري حقوق عرض الحفلات بمبالغ كبيرة، لتسلية الذين يُشاهدون من بعيد. تشبه جوائز آخر العام السينمائي توزيع نتائج الموسم الدراسي. تكافئ امتحانات اللجان عباقرةَ العام. هذا امتحان مُرهِق، يجتازه السينمائيون أمام اللجان، التي يُفترض بها أنْ تكتشف الموهبة، قبل أنْ تحقّق نجاحاً جماهيرياً، لأنّ المخرجين والمنتجين يؤخّرون إطلاق العروض التجارية لأفلامهم في القاعات، على أمل الحصول على جوائز تُعرِّف بها. تساهم المهرجانات والجوائز في تنظيم التنافس السينمائي. لذا، لا تزال الجوائز مُفيدة لمستقبل من يحصل عليها. يتسابق السينمائيون أمام لجان الانتقاء الأول في المهرجانات، لتتأهّل أفلامهم إلى الدور الثاني، فالتنافس أمام لجان التحكيم.

بعد هذا الماراتون العالمي، يُختَتم الموسم السينمائي بتوزيع الجوائز السينمائية الأبرز في صناعة الفن السابع في العالم: «غولدن غلوب» الأميركية، «أوسكار» الهوليوودية، «سيزار» الفرنسية، «بافتا» البريطانية، «غويا» الإسبانية. هذه الجوائز تقييمٌ ختامي يمهّد لافتتاح الموسم السينمائي للعام الموالي. يُشبَّه موسم الجوائز بالحصاد. حالياً، «أوبنهايمر» (2023) لكريستوفر نولان حصل على 13 ترشيحاً لـ«أوسكار». يُفضَّل قول «قنص الجوائز»، لأنّ الجوائز أندر من السنابل، التي تُحصَد بالجملة.

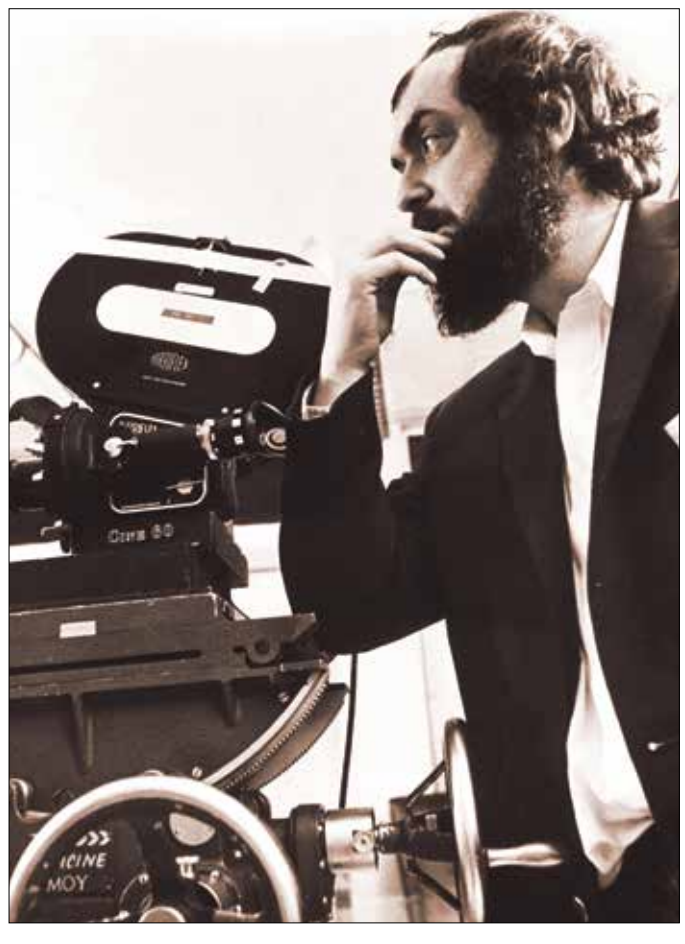

ستانلي كوبريك: أفلامه صامدة في الزمن من دون تتويج (Getty)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

اديل إكزاركوبولوس و«سيزار 2024»: دور وطني واجتماعي وإنساني (ستفان كاردينالي/Getty)

إنّها جزءٌ من شبكة مصالح رأسمالية

فيس قاسم

الإجابةُ عمّا إذا كانت للجوائز السينمائية، الممنوحة للعاملين في حقل السينما من دون مهرجانات، كـ«أوسكار» الأميركية و«بافتا» البريطانية و«سيزار» الفرنسية وغيرها، فوائد للسينما والسينمائيين، تستوجب النظرَ إليها من زوايا عدّة، لأنّ تعدّد مستوياتها (الجوائز) السمة الأبرز لها، وكلّها تعمل وفق نظرة شاملة إلى السينما وأفلامها، بوصفها وسيلة تعبير بصرية، اشترطت منذ ظهورها وجود ورش صناعية لإتمام عملية إنتاجها. من هنا، جاء تعبير «صناعة السينما». مثل كلّ صناعة، والحديث هنا عن صناعة إبداعية وفنية وجمالية، تشترط توفّر الآليات اللازمة لنجاحها، وما جوائز المهرجانات السينمائية التقليدية، إلى جانب تلك العالمية الممنوحة لمبدعيها من دون مهرجانات، سوى إحدى وسائل الترويج لـ«بضاعتها» الإبداعية.

تدرك هوليوود باكراً ما فعلته أفلامها في العالم، ولمردودها الهائل لا على المستوى الربحي فحسب، بل على المستويين الثقافي والسياسي أيضاً، فتقرّر المضي بإنتاجها، المتوافق مع مسار قومي أكبر، يُكرّس الولايات المتحدة الأميركية إمبراطورية رأسمالية جديدة في الطرف الآخر من المحيط. إمبراطورية صناعية، تؤسّس ثقافتها الخاصة، وتتخلّص تدريجياً من عقدة «الثقافة الأوروبية». تكتفي بالكثير والمهم الذي تصنعه في ورشها، وتبيعه لجمهورها. لا تتوقّف كثيراً عند حقيقة أنّ السينما جاءت إليها من أوروبا، فما صار عندها يُغنيها عن الالتفات إلى غيرها.

حتى هذه اللحظة، يُقاس نجاح أي فيلم من إنتاجها، تجارياً، بمقدار ما يحصل عليه من شبّاك التذاكر المحلية. أرادت السينما الأميركية تأسيس مرجعيتها الخاصة بها، وكانت فكرة «أوسكار» (1929) تُغذّي ذلك الميل، وتتوافق معه كاملاً. أرادته، كبقية إنتاجها الصناعي، أنْ يكون كبيراً (ميغا) ومُبهراً، متجاوزاً في طريقة تقديمه كلّ تقاليد المهرجانات الفنية، والسينمائية منها. تقرّر «أكاديمية فنون الصورة المتحرّكة وعلومها»، المُنظِّمة له، أنْ تكون جوائزها معنوية، فما تحقّقه للفائز بها يفوق كلّ قيمة مالية، وتعرف أنّها في النهاية ستحقّق للحاصل عليها ذلك لاحقاً.

لابتكار نموذج جديد في طريقة اختيارها للفائزين بجوائزها، تقترح أنْ يشترك آلاف العاملين في الصناعة السينمائية فيها، وأنْ تتوسّع جوائزها التي يزيد عددها عن 20 جائزة، لتشمل كلّ جوانب الصناعة السينمائية، تقنياً وجمالياً. هذا يُنبّه مواهب كثيرة إلى أهمية الذهاب إلى حقول أخرى غير الإخراج والتمثيل والتقنيات الرئيسية، كالتصوير والمونتاج، فهناك عشرات الاختصاصات التقنية المُكمِّلة، كالمؤثّرات الصوتية والبصرية والماكياج والديكور، يحصل مشتغلون فيها على جوائزها الخاصة. كثيرٌ من هؤلاء هم من خارج أميركا، وحصولهم على جوائز «أوسكار» تفتح أمامهم أبواباً أوسع في حقول إبداعية نادرة، لا تكتمل صناعة الفيلم من دونها.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

مقالات أخرى على الموقع الإلكتروني

«الجوائز السينمائية: لغطٌ لا ينتهي» لمحمد هاشم عبد السلام، «جوائز تفقد سلطتها» لندى الأزهري، «الجوائز السينمائية: خيارات جمالية أم ضغوط غرف مظلمة؟» لعبد الكريم قادري، «السينما العربية وجوائزها: المُمكن والمُمتنع» لأشرف الحساني، «عن أخطاءٍ كثيرة تعجّ بها جوائز ‹أوسكار›» لعلاء المفرجي، «المصائب أكثر في المشهد السينمائي العربي» لنجيب نصير.